الشعوب السامية والتوحيد*

بقلم

الاب جان سنارکي عضو المعهد الفرنسي للآثار في بيروت
والاستاذ في المعهد الكاثوليكي في باريس

لما كان الشرق السامي مهد الاديان الثلاثة التي تعلم التوحيد ، تساءل العلماء عما اذا لم يكن التوحيد عقيدة شائعة بين الشعوب السامية . عن هذا السؤال اجاب ربنان بالايجاب ، والى هذا الرأي يميل العلماء اليوم ، وان عدلوا فيه بعض التعديل ، بعد ان اعرضوا عنه زمناً .

وقبل الاسترسال في البحث ، لا بدَّ لنا من بعض ملاحظات لغوية وتاريخية .

لفظة « إل » ومشتقاتها .

ان اللغات السامية القديمة تعبر عن معنى « اله » بلفظة « إل »[1] او « إلم » . وقد وردت هذه اللفظة بصيغتها الاولى عند العبرانيين والفينيقيين ، وبصيغتها الثانية عند الساميين الشرقيين كالاكاديين والاشوريين والبابليين[2] . ووردت كذلك بصيغة « إله » عند الآراميين والعرب ، ولا يجهل السامیون الغربيون كالفينيقيين والعبرانيين هذه الصيغة الاخيرة من ذلك ان التوراة تستعمل لفظة « إلهيم »[3] للدلالة على الله ، وهي جمع « إله » للتفخيم . وان الفينيقيين يؤثرون

---

*) هذا البحث خلاصة محاضرات ألقاها المؤلف في معهد الآداب الشرقية ، ونقلها الى العربية الاب ميخائيل ضومط ، فظهرت في شكلها هذا ، وبشهادة المؤلف نفسه ، اقرب الى الموضوع الذي شاء استجلاءه في محاضراته (المشرق) .

١) كتبنا هذه الاسماء كما وردت في الكتابات الاثرية دون التعرض للصيغ التي وردت فيها في مختلف الآثار الادبية وكتبنا الالفاظ العبرانية بموجب القواعد التي اثبتها اللغوي جوون P. Jouon s.j. .

٢) يطلق اسم « الاكادية » اليوم على كل اللهجات السامية الشرقية .

٣) كتبنا بصورة الفتحة الممدودة (مثل الفتحة اعلاه) او بصورة حرف المد الحركة «ه» في العبرانية والفينيقية لان اصلها فتحة ممدودة .

لفظة « إليم » بمعنى اله وهي جمع « إل » للتفخيم ، واذا ارادوا « الآلهة » قالوا: « إلن » او « إلنيم » او غيرهما.

اصل لفظة « إل ».

اما اصل لفظة « إل » فلما يتضح . وربما اشتقت هذه اللفظة من الثلاثي « .ول » او « .يل » نظرًا لان الحركة اغلب الظن ممدودة ؛ من هذا الاصل اشتقت في العربية « اوّل » ، ووردت لها مشتقات اخرى تتضمن معنى الاولية ، منها في العبرانية «إلن» (الشجرة الكبيرة) و«إله» (المفرد) «و إليم» (الجمع) بالمعنى عينه، وربما كانت منها « الألاهة » في العربية . ووردت « إليم » في العبرانية ، مجازًا ، بمعنى « الكبار » مطلقاً . وبين هذه الصيغ والصيغ الدالة على معنى « اله » شبه بيّن . وهناك سلسلة اخرى من المشتقات تدل على قادة القطيع من الحيوان منها في العبرانية والعربية لفظة « ايّل » بالمعنى المعروف . من هذا وغيره يستنتج ان معنى الاولية مما ينطوي عليه اصل لفظة « إل ».

الشعوب السامية

اليك ، بعد هذه الملاحظات اللغوية ، لمحة عن الشعوب السامية ، لبيان الزمان والمكان.

اغلب الظن ان الساميين جميعهم تحدروا من قبائل بدوية ظهرت في قديم الزمان في الجزيرة العربية . واغلب الظن ان هذه الجزيرة دفعت على مرّ العصور الى سهول العراق وسورية موجات من البشر ، نمت وتكاثرت بعد ان تبلدت في منازلها الجديدة . وقد تكون هذه الموجة او تلك تدفقت بعنف ، لم يقو على صدّه الحضر فدانوا للبدو.

من هذه الموجات ، موجة اتجهت شطر مصر ، في اواخر الالف الرابع . واليها ترقى سلالة ملوك مصر الاقدمين . عهد ذاك كان العراق بيد السومريين ، من غير الساميين . اما هؤلاء فلا اثر لهم في العراق قبل الالف الثالث في هذا العهد (حوالى سنة ٢٥٠٠) ظهر سرجون الاول ملك اكاد (شمالي بغداد) واسس ملكاً وتقدّم شطر الغرب ، حتى « غابة الارز » وفي العهد عينه نزلت على شاطئ

المتوسط فئة اخرى من الساميين هم الفينيقيون والكنعانيون[1] ومن اشهر مدنهم صور وصيدون وبيبلوس واوغاريت (رأس شمرا).

استرجع الساميون العراق ، بعد نهضة سومرية ، على يد القبائل الامورية الزاحفة من الجزيرة . والى الاموريين ترقى سلالة ملوك بابل الاولى ، التي اشتهرت باحد افرادهـا ، حمورابي ، واضع الشرع المعروف . بسط الاموريون سلطتهم حتى بلاد اشور (ناحية الموصل) ونفوذهم حتى كبادوقية (شمالي قيليقية) وتكلموا ، وهم بعد بـدو ، بلهجة سامية غربية قريبة من العربية كما تشهد بذلك اسماؤهم ، وبعد نزولهم البلاد ، تكلموا بالاكادية .

وقامت ، على تخوم البادية ، اواخر الالف الثانية ، دويلات للآراميين اشهرها دويلة دمشق . وقد عمت لغتهم ، بعد سقوط بابل في يد الفرس (سنة ٥٣٨ ق م) ، الشرق كله من ذلك العهد الى الفتح الاسلامي ، الذي يعد آخر هذه الموجات المتعاقبة واعنفها

على ان ذكر العرب في التاريخ يرقى الى القرن التاسع قبل المسيح . وقد اقلقت غزواتهم ملوك اشور . بيد انهم لم يتزلوا بكثرة بين الاموريين الا قبيل ظهور المسيحية ، عندما استـ قبيلة الانباط بمملكة البترا . (شرق الاردن) هذا في الشمال اما في الجنوب اي في اليمن وحضرموت ، فقد تحضروا منذ زمن بعيد . وقد اكتشفت كتابات ترقى الى القرن الثامن ق م ، خلفها ماوك مارب وملوك سبأ . وعلى هؤلاء جميعهم يطلق مؤرخوا العرب اسم الحميريين . ولم يكتب الحميريون بالحروف الفينيقية التي استخدمت لتدوين اللغات السامية الغربية ، بل بحروف اخرى ، اقدم واكمل ، تعرف بالخط « المسند » وبهذا الخط دونت كتابات خلفتها قبائل الشمال ، حوالى ظهور المسيحية .

هذه جولة لم يكن منها بد ليسهل على القارئ تتبع البحث . واننا نعرض هذا البحث في مراحل ثلاث : الساميون الاقدمون ، العبرانيون ، العرب قبل الاسلام .

---

١) ان اسم الفينيقيين والكنعانيين يطلق على الشعوب المتحدرة من القبائل البدوية بعد امتزاجها بغير الساميين من سكان الشواطىء المتحضرين . وكذلك قل عن الاكاديين .

١ً ـ الساميون الاقدمون

الاكاديون

دعا الاكاديون معبودهم « بيل » (اي بعل : سيد) وقد يكون هذا الاسم وصفاً « لإلُم » جرى مجرى الموصوف بل مجرى العلم. لكننا لا نعثر في هذا العهد على اثر لعبادة « إلم » ، مع ان ذكره لم يندثر بل حفظ في اعلام عديدة ، موروثة عن الاجداد منها « رَ ـ بِ ـ لُم » « الله اكبر » وهو تعريب سنعود اليه.

الاموريون

عبد الاموريون ، كالاكاديين ، آلهة كثيرين. غير ان الواحاً كثيرة اكتشفت في كبادوقية ، وخلفها اموريون عاشوا قبيل عهد حمورابي ، تذكر « اله ابيك » او « الاله » مطلقاً. وفي الامر دليل على ان المقصود بلفظة « إلُم » انما هو اله القبيلة. وهذه النتيجة ، يبلغ بنا اليها من ناحية اخرى البحث في الاعلام الاموريّة. فهناك اعلام دخل في تركيبها اسم الاله ، بينها عدد غير يسير مركب من جزئين احدهما لفظة « إل » او لفظة اخرى تدل على احد ذوي القربى امثال « زِمْرِيلِم » (حفظني الاله) و« زِمْرِيأْيوم » (حفظني الاب) و« زِمْرِيعَمّو » (حفظني العم او القريب). من هنا نستخلص ان واضعي هذه الاسماء كانوا ينظرون الى الاله نظرهم الى احد ذوي قرباهم ، مما ينم عن ذهنية بدوية ، وان هذه الاسماء انما صاغها الاموريون الاقدمون ايام بداوتهم ، غربي الفرات . وفي لغتهم واسمهم ما يثبت هذا الرأي ، فلفظة « اموريون » معناها الغربيون ، ولغتهم تبدو اقرب الى الساميّة القديمة من لغة الاكاديين الذين تقدموهم بخمسة قرون.

الحيريون

وكذلك قل عن الحيريين ، الذين عاشوا ، الف سنة بعد الاموريين ، جنوبي الجزيرة. فهم يدعون احياناً « إل » بجملة عشتر (الزهرة) مما يدل على انهم لا يعنون بـ« إل » الاله ، بل الهاً بين اخرين. على انه نُعت في احدى كتاباتهم الاثرية بـ« ثملي » (الملي) كما نعت في التوراة بـ« علين » (بالمعنى عينه). وهم يؤلهون القمر « سين » وينعتونه بـ« رد » (الصديق) وبـ« عم » (احد ذوي القربى) واغلب الظن ان « رد » و« عم » كانا عندهم قديماً من اسماء « الاله » الاسمى.

وهم كذلك يطلقون على بنيهم اسماء مركبة من « إل » و« أب » و« أخ » و« عم » و« خال » و« داد » (بنفس المعنى). وكلها اداة سبق لنا ان مررنا بها واستخلصنا منها انها تنم عن ذهنية اناس كانوا ينظرون الى « الاله » نظرهم الى احد ذوي قرباهم.

الفينيقيون

واذا انتقلنا من البحر الاحمر الى المتوسط ، وجدنا ، على شواطئه الشرقية منذ الالف الثالث الكنعانيين في فلسطين والفينيقيين في لبنان ، على تعذر وضع حد واضح بينهما. وقد نزح هؤلاء ، على رأي المؤرخ اليوناني هيرودوت (القرن السادس ق م) عن شواطئ البحر الاحمر. اما آلهتهم فاننا نجد وصفاً لها كافياً على الالواح التي اكتشفت في رأس شمرا اي اوغاريت القديمة[1].

ويلفت نظرنا في هذا الوصف اننا نشهد فيه « إل » لاول مرة المخدر الى درك الالهة ، على انه لا يزال يحتفظ بينهم بمركز مرموق ، وبصفات الاله الاسمى فهو « خالق الكل » « والاله العادل الحكيم » وهو « ابو البشر » واليك نصاً لا تلبث ، وانت تطالعه ، ان تذكر ما جاء في التوراة:

« في الحلم [اعلن] إل اللطيف الكريم
وخالق البرية ، في رؤيا:
ان السماوات تمطر زيتاً
والانهار تدر عسلاً »

ويجدر بالملاحظة ان اللطيف وردت في الفينيقية « ل ط ف ن » وان ليس ما يمنع تشكيلها كـ« لُطْفان » العربية ، وانها لا تختلف والحالة هذه عن لفظة « اللطيف » المعروفة بين الاسماء الحسنى.

لم يعد « إل » في اوغاريت الا الهاً بين الهة. وسيتغلب عليه ابنه « بعل »، وسيترأس بعل هذا آلهة الفينيقيين ومثلهم جميعاً ، مع عشتروت ، في نظر العبرانيين. على ان ذكر « إل » لم يمحَ فقد ورد عند فيلون البيبلوسي الذي نقل ، اذا صدق الى اليونانية كتاباً ، ضاع ، لسنكونياتون . روى فيه ان « إل » هو حفيد

(١) كتابات رأس شمرا دونت بالخط المسماري وفيه خمسة وعشرون حرفاً ساكناً وثلاثة حروف صوتية (آ ، و ، ي).

« عَلِيَنَ » وخلطه مع « كرونوس » اليونان واليه نسب توحشه . الى هذا صار «إل».

وليس ما يستخلص من درس الالواح الميثولوجية بمختلف عما يستنتج من درس الاعلام. فقد اكتشفت في مصر الواح وتماثيل سحرية ، ترقى الى الالف الثاني ، نقش عليها اسماء مدن وامراء صبَّ عليهم المصريون اللعنات . وهذه الاسماء فينيقية وكنعانية ، ومنها ما ركب من لفظة « إل » او لفظة « اب » امثال « أبي رفأ » (ابي شافٍ) و« يرفأ — إل » (شفى إل) . والى العهد عينه ترقى اسماء لا سبيل الى الشك في انها مركبة من لفظة «اب» امثال « ابيشو » و« ابشرابي » وهما من اسماء ملوك بيبلوس ، محفورة على زبان بشكل اسلحة موجودة في متحف بيروت وعلى الواح راس شمرا اسماء عديدة مركبة من «إل» وفي الرسائل المتبادلة ، في العهد عينه ، بين امراء كنعان وفراعنة مصر اسماء مماثلة وقد ورد بعضها في سفر يشوع كاسماء مدن فتحها العبرانيون منها «يرفأ إل» و« يبني إل » (إل بنى) .

الآراميون

قبل الانتقال الى البحث عن عبادة « إل » عند العبرانيين لا بد لنا من ان نقول كلمة في الآراميين الذين كان العبرانيون يمدونهم من قرابتهم . فـ« بتو إل الارامي » هو ابن اخ لابراهيم ، ولبتو إل ابن اخ دعوه آرام — باسم القبيلة ، وآرام ابن « قمو إل » فقمو إل وبتوإل كما نرى اسمان مركبان من لفظة «إل» .

لكن الاراميين لم يتحضروا الا بعد خمسة قرون من العهد الذي نحن فيه ، اي في نهاية الالف الثاني . على انهم لم ينسوا « إل » في تحضرهم . وقد حفظوه في اسماء ملوكهم ، امثال « حزَ إل » الذي ورد في الكتاب المقدس والآثار الاشورية ، وبين آلهتهم كما تشهد بذلك الكتابات التي خلفوها واشهرها كتابة اكتشفت في السفيرة قرب حلب ، ترقى الى القرن الثامن ق م ، جاء فيها ذكر معاهدة عقدت بين امير الناحية و « متع إل » ملك اربد (شمالي حلب) ووضعت تحت حماية سلسلة من الآلهة ختمت باسمي « إل » و« وهلين» وكتابتان اخريان ، احدث عهدًا ، اكتشفتا في سنجرلي شرقي الاسكندرية ذكر فيهما اسم « إل » بعد «هدد» اله الاراميين الاكبر .

الساميون الاقدمون والتوحيد

ظهر جلياً ، مما تقدم ، ان الاكاديين والاموريين والحميريين والفينيقيين والآراميين ، كانوا يؤثرون اقله في عهدهم الاقدم ، استعمال الاعلام المركبة من لفظة « إل » وفي ذلك دليل على ان هذه اللفظة هي من لغة الساميين الاقدمين الامر الذي يعود بنا على الاقل الى الالف الرابع . وظهر من ناحية اخرى ان هناك اعلاماً مركبة من « اب » « وعم » و« ود » اتخذت هـذه الالفاظ فيها موقع اسم الاله تماماً عن نظام اجتماعي لا يزال في طور البداوة .

ولا شك ان اول من صاغ هذه الاعلام المركبة من «إل» عنى بها «اله» العشيرة، لان لفظة «إل» استعملت ، اول ما استعملت ، بصيغة «إلم» كما وردت في الاسماء الاكادية ولان «. . . م» الختامية ليست الا اداة التعريف في الاكادية كما هي الحال في «ه» الابتدائية في العبرانية ، هـ — إل : الاله، ولان فهمها بغير هذا المعنى لا يستقيم .

ففي هذه المحاولة ، امامنا افتراضان : اما ان نعتبر « إلم » علماً ونعربها « الاله إلم » واما ان نعتبرها اسماً معرّفاً ونعربها « الله » ودون كل من الافتراضين صعوبات . فان نحن اتجهنا الى الافتراض الاول اعترضنا عدم وجود ذكر « للاله إل » قبل عهد راس شمرا في حين ان الاعلام المركبة من « إل » اقدم منه بقرون . وهب اننا اكتشفنا لهذا الاله ذكراً قبل عهد راس شمرا ، فليس في الامر نتيجة قاطعة ، لان الساميين الاولين لو حاولوا ان يعبروا عن « إله العشيرة » لما وجدوا الى ذلك سبيلاً ابسط من ان يقولوا : « الاله » .

وان نحن آثرنا ان نعرب لفظة « إل » في الاعلام بلفظة « الله » اعترضتنا كذلك عقبات لا سبيل الى تذليلها اليوم منها ان هذه التسمية « الله » تقتضي، بما هي معنى شامل مجرّد ، مقدرة على التجريد لا تتفق وما نعرفه من ذهنية الساميين الاولين . ولسنا نقصد ان ننفي عن قلبهم كل معرفة بالله ، انما نعتبر ان لفظة « الله » تنطوي على مدلول عقلي لم تكن قواهم قد تهيأت لادراكه ادراكاً واضحاً ، وبالتالي للتعبير عنه بلفظة شاملة .

وعندنا اذن ان الساميين الاقدمين لم يكن لهم من معرفة « الله » الا نصيب محدود . أيصح ان ننعت هذا النصيب المحدود من المعرفة بالتوحيد ؟

ام ان هذه المعرفة لم تمنع عبادة اله القبيلة ؟ مما سبق يتضح اننا نؤثر تسمية معبود الساميين اله القبيلة ، على اننا نزيد ما لا بد منه لاستيعاب الواقع كما يبدو لنا. ذلك ان المقصود بـ« اله القبيلة » كان في حياة البدوي الاله الاوحد بمعنى انه لم يكن لغيره من الالهة — على افتراض انه عرف غيره — الا وجود اسميّ ، لا وزن له ولا اعتبار ، فلا يستبعد والحالة هذه ان يكون التوحيد النسبي الذي بلغ اليه البدوي توحيدًا حقيقيًا له عنده فعل التوحيد المطلق وان يكون « الاله » في نظره هو « الله » .

ورب قائل يقول: ألم يكن للقبيلة الا اله واحد ؟ عن هذا السؤال نجيب: ان القبيلة لم تكرّم الا الهًا واحدًا ولو كرّمت آلهة كثيرين لما اسمت احدهم « الاله » واسمت غيره « عشتر » و« هدد » لان اطلاق اسم الجنس على الفرد لا يستقيم الا اذا كان واحد جنسه، او لكان اقتضى الامر استعمال اسم الجنس علمًا ، كما جرى ذلك في اوغاريت ، يوم تجاورت لفظة « إل » مع اسماء سائر الآلهة . ذلك ان « الاله » في اوغاريت انحطّ الى درجة واحد من جماعة ولم يبق اوحد وان بقي كبير اقرانه في اوغاريت سلم للاله اسمه دون مدلوله.

على ان هذه الخلاصة ، وان انطبقت على الساميين عامة ، فهي لا تنطبق على العبرانيين. فقد غدا « الاله » عندهم لا « الاله إل » بل « الله » ذلك انهم اوتوا قوة فوق قواهم مكنتهم من الصمود في وجه هجمات الشرك.

٢ ــ العبرانيون

دعوة ابراهيم

خذ الفصل الثاني عشر من سفر التكوين تجد الله يكلم ابرهيم للمرة الاولى ويقول له: « بك تتبارك جميع عشائر الارض ». هو يكلمه ولا يقول له من هو، ولما كان استغنى عن هذا التعريف لو لم يكن لابرهيم به سابق معرفة . هو يكلمه ويبشره بحسن المصير ، واعدًا اياه بان نسله قد خصّ بدور حاسم في تهيئة هذا المصير . وانى لابرهيم ان يصدق هذا الوعد ان لم يقف منه موقف المؤمن ، ولكنه وقف هذا الموقف وعبر عنه بقوله : « ان ساره عاقر » والله ثبته فيه واكد له قيامه بالوعد : « انظر الى السماء واحص الكواكب ان

استطعت . . . هكذا يكون نسلك» (تكوين ١٥) آمن ابرهيم بكلام الله وحسب له ايمانه براً ، وقد لفتت اهمية هذا الحدث نظر بولس الرسول فعلّق عليه في الفصل الرابع من رسالته الى الرومانيين، وحق للمسيحيين بعده ان يروا في مواعيد الله لابرهيم بدء عهد جديد يتاح للبشرية فيه ان تبلغ الى معرفة الله معرفة تفوق قوى الطبيعة.

وفي ذلك دليل على ان كتاب العهد القديم ليس كتاب التوحيد فحسب كما الف الشراح ان يرددوا بل هو كتاب تهيئة العهد الجديد. على انه من الثابت ايضاً ان العبرانيين لولا الوحي، كانوا انصرفوا، كغيرهم من الساميين ، الى عبادة آلهة كثيرين.

قبل ابرهيم

استخلصنا من سفر التكوين ان ابرهيم كان يعرف الله قبل ما كلمه الله. وسبق لنا ان ذكرنا ان ابرهيم ، على رواية الكتاب ، هو عم «بتوإل الارامي» ونطالع فوق ذلك ، في الموضوع عينه ، تهديداً وجهه الله الى اورشليم المتمردة (سفر حزقيال ١٦ : ٤٥) جاء فيه : «ابوك اموري وامك حثية» ونحن نعلم ان الاموريين ، عهد ابرهيم ، قلّما امتازوا عن الآراميين لانهم كانوا لا يزالون جميعهم في طور البداوة ومن هنا نستدل على ان ما قلناه في معبود هؤلاء يصح في معبود اجداد ابرهيم . ولنا في سفر التكوين ادلة اخر على ذلك.

اسماء الله

اطلق الكتاب على الله اسمين: «إلهيم» و«يهوى» . الثاني منهما علم يثير وروده في سفر التكوين قبل رواية رؤيا جبل سينا قضية يتعذى درسها نطاق هذا البحث. اما الاول «إلهيم» فقد اشرنا الى انه جمع «اله» للتفخيم ، ونزيد الآن انه قد ورد في كتابات راس شمرا ، اي نحو قرنين بعد ابرهيم ، وانه هناك ، هناك على ما يظهر ، مثله في الكتاب ، ليس الا صيغة ثانية لاسم «إل» ولا شك ان العبرانيين آثروا استعمال لفظة «إلهيم» دلالة على جلال الاله الذي تجلى لهم. على انهم لم يعرضوا عن تسميته بالاسم القديم «هَ — إل» (الاله) كما جاء في احد نصوص سفر التكوين (٤٦ : ٣). ففي هذا النص نرى الله يخاطب يعقوب ، وقد خرج الى مصر ملتحقاً بابنه يوسف ، قائلاً: «انا هو الاله (هَ — إل) اله ابيك». ولا شك ان القارىء لحظ الشبه البيّن بين هذا التعبير

والتعابير التي مرَّ الكلام عليها في الكتابات الكبادوقية . فقد جاء في هذه الاخيرة: «ليشهد بذلك الاله اشور واله ابيك» ووردت فيها ايضاً لفظة «الاله».

هذا نوع من التعريف وهناك نوع آخر هو التعريف بالصفات ، فكثيراً ما ورد اسم « إل » منعوتاً بـ« شَدَّي » و« عَلْيَن» (الاله العلي) وورد مرة مضافاً الى « عالم » (اله الدهر). لم يتضح بعد معنى لفظة « شدي » على ان المترجمين اليونانيين قد فهموها ، في القرون الاخيرة قبل المسيح ، بمعنى « الضابط الكل » وهو معنى لا يتنافى والاصل الذي يميل المحدثون الى ردها اليه. وفي ظن هؤلاء ان « شَدَّي » اما ان تشتق من « ش دد » بمعنى القوة والصخرة ومنه في العربية « شديد » واما ان تشتق من « ش دو » في الاكادية بمعنى الجبل . ومهما يكن من امر المعنى ، فان هذا التعبير « إل شَدَّي » لمما امتاز باستعماله عهد ابرهيم (خروج ٦).

اما « إل عَلْيَن» فقد وردت في رواية ظفر ابرهيم يوم باركه ملكيصادق (تكوين ١٤) وقد سبق لنا ان قابلنا هذا التعبير « إل تَعلَي » الذي ورد عند عرب الجنوب ، ونلاحظ الان ان ملكيصادق وهو ملك «شليم»(اي اورشليم ؟) وكاهن « إل عَلْيَن» قد اتفق وابرهيم في دعوة «إل عَلْيَن» (الاله العلي) وفي وصفه «بخالق السماء والارض » من هنا يستدل على ان «عَلْيَن» ان هي الا صفة «إل». على ان هذه الصفة ستجري مجرى الموصوف ، وقد شهدناها في كتابة السفيره مستعملة للدلالة على اله غير « إل»، جرياً على ما هو معروف من تشخيص الصفات، كما شهدناها عند فيلون البيبلوسي مستعملة للدلالة على كبير الالهة الذي غدا «إل» حقيداً له.

ومما تقدم يتضح ان ملكيصادق ، وهو غير عبراني ، انما كان يكرم الاله عينه الذي يكرمه ابرهيم ، الامر الذي لم يستغربه قط واضع الرواية التي جرى الكلام عليها والتي تعد بحق من اقدم الروايات في التوراة . وعندنا ان ملكيصادق ان هو الا احد هؤلاء الساميين الاقدمين الذين اثبتنا انه لم يكن لهم الا معبود واحد . وربما كان ملكيصادق هذا من الاموريين الذين اشار سفر التكوين الى وجودهم في فلسطين عندما ذكر ان ابرهيم كان يلذ له ان ينصب خباءه في ظل « بلوطات ممرا الاموري » (تكوين ١٤ ، ١٨) ، والذين كانوا ، عهد موسى ، نازلين في الجبال.

الشرك

نحن نسلم ان هؤلاء الاموريين كانوا بجملهم يعبدون آلهة كثيرين ، ومع ذلك فاننا نعتقد انه قد قام بينهم بعض المختارين الذين لم يفتهم ان « الاله العلي » هو غير ذلك الخليط من الالهة المكرّمة في فلسطين ، ونعتقد كذلك ان ابرهيم لم ينس اله جدوده ، اله نوح وابنه سام ، وان ذكر « اله سام » لم يُمحَ (تكوين ٩ : ٢٧) حتى ولو اعتبرنا السلسلة المذكورة في الفصل الحادي عشر من سفر التكوين مختصرة وسلمنا بان بين سام وابرهيم اكثر من ثمانية اجيال . لكن هذا الرأي لا يتنافى مع شيوع الشرك بين الساميين بمقدار خروجهم من طور البداوة ، وعامة جدود ابرهيم انفسهم لم يسلموا من هذا الشرك ، كما ينوه بذلك واضع سفر يشوع : « آباؤكم منذ الدهر تارح ابو ابرهيم وابو ناحور عبدوا آلهة اخرى » (يشوع ٢٤)

وسنشهد طغيان الشرك هذا في الجزيرة قبيل ظهور الاسلام اي نحوًا من الفي سنة بعد ابرهيم .

٣ً ــ العرب قبل الاسلام

بقي علينا ، تكميلًا لبحثنا عن آثار التوحيد عند الساميين ، ان نقول كلمة عن العرب . على اننا في هذا القسم لن نتوقف على دين المتحضرين ، مهما سما ، عند بعضهم ، لاعتبارنا ان هذا التطور انما مرجعه تأثيرات دخيلة — يونانية كانت ام يهودية ام مسيحية — وانه لا دين يمثل البدو الصرف ، ولاعتبارنا ان تحليل هذا التطور انما يتطلب بحثاً في مخلفات هذا العهد الاثرية والادبية لم نتصرف اليه بعد . وعليه فاننا نحصر بحثنا في القبائل العربية اثناء القرون الاولى للمسيحية ، مضيفين اليه كلمة عن تدمر التي لم تكن بمعزل عن تأثير العرب .

ثمود

لم تسلم الشعوب السامية القديمة من الشرك ، ولا العرب سلموا قبل الاسلام . من هؤلاء العرب ، ذكر القرآن قبيلة ثمود التي ابادها الله ، وذكرت السنة اللحيانيين الذين خضعوا لمحمد . وقد نزل الثموديون واللحيانيون في شمالي الحجاز كما نزلت قبائل اخرى من السلالة عينها في ناحية الصفا وما حولها . وقد

اكتشفت في المنطقة الواقعة بين دمشق ومدائن صالح والمئى كتابات كثيرة محفورة على الحجارة ، خلفتها هذه القبائل . وقد دونت هذه الكتابات بخط عرب الجنوب المعروف بالمسند ، مع ان لغتها هي احدى لهجات عرب الشمال (التي تستعمل ه محل الف للتعريف) .

وتنبئنا هذه الكتابات بان العرب عبدوا ، بين من عبدوا ، « رضى » (الزهرة) و« شمس » و« إلات » الهتهم الكبرى ، التي ذكرها هيرودوت باسم « أليلت » (الالهة) ، وعبدوا ايضاً - وان قلّ ذكره - « اله » فهم يدعونه دعاء مجرداً : « هـ ل هـ ي = هـ - اله » او مشفوعاً بطلبة ، من نحو ما نقرأه في الكتابة التالية :

« ل ا ن ع م - ب ن - س ع د - ب ن - ا د ع ج ة - و هـ ل هـ - س ل م »
« و ر ض ى - ع و ر - ذ - ي ع و ر - هـ س ف ر - »
لا نعم بن سعد بن ادعجة ، ويا اله سلام .
ويا رضى عُر من يعور السفر » .

وتطلعنا الكتابات عينها على بعض اعلامهم . فمنهم ما ينتهي باله من نحو « وهب اله » (اله اعطى) ومنها ما ينتهي بإل من نحو « وهب إل » وهي اكثر عدداً . ولا اثر في هذه الكتابات ، اقله التي اكتشف في شرقي الاردن ، لاعلام تنتهي بغير ذلك من اسماء الالهة ، مما يدل على ان كاتبها لم يعرف جدودهم الا غير « الاله » معبود سائر الساميين البدو .

الانباط والتدمريون

الانباط عشائر اخذت تتحضر حوالى ظهور المسيحية ، وكانوا يؤمنون نقل البضائع من الشرق ، وكان لهم في البترا ، ومدائن صالح منازل وقبور فخمة . وكثيرة بين اعلامهم الاسماء التي تنتهي بإل و« اله » ، ولا اثر في كتاباتهم « إله » في غير الاعلام ، ذلك ان غناهم قد انساهم ولا شك اله الاجداد .

اما التدمريون ، وان كانوا من اصل ارامي ، فبينهم وبين الانباط شبه . من ذلك ان عنصرهم الارامي لم يبقَ صافياً ، بل تفاعل بينهم العرب بكثرة ، ومن ذلك انهم ، بعد سقوط بلاد الانباط في يد الرومان ، عام ١٠٦ للمسيح ،

خافوهم في تأمين المواصلات التجارية بين الشرق والغرب ، ومن ذلك كذلك ان كتاباتهم آرامية — وكتابات الانباط آرامية — ومن ذلك اخيرًا في موضوع بحثنا ان «الالهة» قضت عندهم على ذكر « إله » في العبادات والتذكارات . ولولا اعلامهم المتنبية بإل وإله ، لظننا ان التدمريين الاقدمين كان يجهلون اله البدو .

على ان في تدمر ، عدا ذلك ، اثرًا لنهضة توحيدية لا يسعنا اغفالها . ذلك ان الاثريين كشفوا نحوًا من مائة مذبح نقش عليها بالآرامية : « المبارك اسمه الى الابد الصالح الرحيم » وعلى بعضها ، الى جانب الكتابة الآرامية ، كتابة يونانية دُعي فيها المعبود غير المسمى بالآرامية « زفس هفستس » (زفس العلي) وزيد على البعض الآخر ان صاحب التقدمة « دعا للاله فاستجابه » وورد مرة هذا النص الاخير بصورة غريبة : « دعاه في الضيق فاستجابه في الرحب » .

وقد لحظ القارىء ما يلفت النظر في هذه الكتابات ، سواء اكان في عدم ذكر اسم المعبود ام في تسميته زفس باليونانية ام في ورود عين الدعاء والاستجابة عند الضيقين ام خاصة في الشبه البين القائم بين الآيتين المذكورتين وبعض نصوص المزامير (راجع خاصة مزمور ١١٧–١١٨) عدد ٥ ومزمور ٧١ الخاتمة) . وقد ادّى الامر ببعضهم الى نسبة هذا الاتجاه الى تأثير اليهود النازلين واحة تدمر .

على اننا لا نرى داعياً كافياً لهذا الرأي . ومع اعترافنا بالتأثير اليهودي واليوناني الذي قد يكون اوحى الآيات التي لحظنا تشابهاً بينها وبين المزامير ، والذي قد يكون اوحى التسمية اليونانية للاله غير المسمى — مع العلم بان لفظة «زفس» هنا لا تعني غير ما تعنيه لفظة اله — فاننا نؤثر ان ننسب هذه النهضة التوحيدية التي نكاد ننعتها بانها تجهل ذاتها الى يقظة الشعور السامي القديم بوحدانية الاله وتساميه ، تحت تأثير عوامل دخيلة .

وليس ما مرّ بنا به في تدمر من تكريم معبود لا اسم له هو المثل الاوحد بل هناك امثلة عديدة نقتصر على ذكر بعضها .

منها عند الانباط ، ذكر « رب البيت » و« اله فلان » و« ذو شارى » (لعل المقصود صاحب شارى في ناحية البتراء) ، وفي الاثار العربية عامة ذكر «الرحيم»

الذي كرمته قبائل سبأ باسم « رحمنن » وقبائل الصفا باسم « الرحيم » والتدمريون باسم « الرحيم » ايضاً ولكن الى جانب « شمس » و« اللات » من آلهة العرب ، والذي حفظ ذكره البابليون بنعتهم آلهتم بـ« ريمنو » (الرحيم).

ومنها،عند الآراميين تكريم « عليَن » (العلي) وعند عرب الجنوب تكريم « إل تعلي » (راجع ما قيل في ملكيصادق وفي الحميريين).

ومنها ايضاً ، عند الفينيقيين ، تكريم « بعلشميم » (رب السماوات اي اله متعال ، الذي كرمه التدمريون والانباط وقبائل الصفا باسم «بعلشمين» والذي اتحى اثر عبادته في تدمر عند ظهور عبادة الاله غير المسمى (في بدء القرن الثاني للمسيح) وان احتفظ هذا الاخير بصفات الاول (كلاهما رب الكون ،وعلي ، ورحمن).

لدى النظر في هذه الوقائع ، رأى العلماء بحق في عبادة الاله المجهول او غير المسمى مظهراً ارقى لعبادة « رب السماوات » . ولكن الا يصح ان نرى فيها ايضاً مظهراً من مظاهر التوحيد ؟ عندنا ان الوقائع المذكورة اذا اضفنا اليها ما اكتشف اخيراً تمكن من الجواب عن هذا السؤال بالايجاب ، اقله في بعض الحالات اجل ليس بالمكن ان نعد من الموحدين اناساً دعوا الى جانب الاله المجهول غيره من الالهة ، ولكن هناك اناساً اخرين — وان قلائل — وصفوه بما لا ينطبق من الصفات الا على الله ، منهم ملكو بن برعا رئيس مجلس شيوخ تدمر الذي اقام مذبحاً « للاله الواحد الاحد الرحيم ».

عرب الحجاز

هل سلم لعرب الحجاز حتى ظهور الاسلام نصيب من توحيد الاقدمين ؟ ان العرب ، في الحجاز ، ظلوا من هذا القبيل على ما كانت عليه قبائل ثمود والصفا ، قبل العهد الذي نحن فيه بقرنين . ولم يكن قرشيو مكة قد نسوا ذكر الله ولا عبادته ، يوم دعاهم النبي الى نبذ الشرك . وهو في دعوته هذه يذكرهم بانهم يعترفون بان الله خالق السماوات والارض :

« ولئن سألتهم : من خلق السماوات والارض ، ليقولنّ الله .

« ولئن سألتهم : من نزّل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ، ليقولنّ الله . . .

« فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون » (سورة العنكبوت ٦١ — ٦٥).

« ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطنّ عملك . . وما قدروا الله حق قدره » (سورة الزمر ٦٤ — ٦٦).

اجل لقد اشرك المكيون وما قدروا الله قدره يوم عبدوا « اللات » و« منات » و« العزى » وسموا هذه الاصنام « بنات الله » وحطوا الله الى دركها . ولكنهم لم ينسوا كل النسيان ان من يسمونه « الله » انما هو الله حقاً ، فهم « مخلصون له الدين » احياناً ، والى هذه البقية الباقية من الاخلاص في الدين استند النبي ليحملهم على الاعتراف بقدر الله .

وهو لم يأت بالجديد في كل ما دعا اليه ، فقد « اوحي اليه والى الذين من قبله » وقد اقتبس كثيراً من الصفات التي ينسبها الى الله عن دين الساميين فالله الذي يدعو اليه ، هو ، كإله الساميين ، « رب البيت » وهو « العلي » و« المتعالي » وهو « السميع المجيب » وهو « الرحمن الرحيم » وهو « ودود » (وقديماً عند عرب الجنوب ، « ودّ » كما سبق) ، على ان لهذه الصفات على لسان النبي المشيد « بقدر الله » رنة اقوى من رنة كانت لها ضائلة في جلبة الآلهة ، قبله . ولمزاج النبي فعله في الامر ، كما ان اليهودية والمسيحية فعلتا فيه كذلك والامر بيّن من القرآن عينه . الا ترى ، مثلاً ، اي مقام كان عند النبي لابرهيم ؟ فابرهيم ، في نظره ، « دعا الله ليجنبه وذريه عبادة الاصنام . . . واسكن من ذريته عند بيته المحرم » (سورة ابرهيم ٣٤ ، ٣٦) وابرهيم ابو العرب ، ولد اسمعيل ؛ جهاد ابرهيم جهاد محمد ، اليه ينسب مواقفه واقواله تجاه الكافرين : « قال (ابرهيم) : ياقوم اني بريء مما تشركون ، اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفاً وما انا من المشركين . وحاجه قومه . قال اتحجوني في الله وقد هداني ولا اخاف ما تشركون به » (سورة الانعام : ٧٧ — ٧٩) « واتلُ عليهم نبأ ابرهيم ؛ اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد اصناماً فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدوّ لي الا رب العالمين . . »

الروح القدس عبارات اخرى خصوصاً في قداس مار يعقوب الرسول لا نرى حاجة الى ذكرها . وبهاتين العبارتين تُختم صلوات القداس الجوهرية . ومع تداول الزمان اضاف السريان الى ما سبق ست ذبتيخات او قوانين سرية وعلنية منها ثلاث ذبتيخات للاحياء وثلاث للاموات . وها نحن نذكر ما نقله منها في الذهب وائبته متفرقاً في قداسه .

مار يعقوب

ذبتيخا الآباء الاحياء

الكاهن يعلن :

لكي تكون لكل المتناولين والمشتركين فيها (في هذه الاسرار) لقداسة النفوس والاجساد . . .

ذبتيخا القديسين وهي الرابعة :

واهلنا ان نذكر كل الذين ارضوك منذ القديم : الآباء القديسين . الانبياء . الرسل . .

الكاهن يقول سراً :

والقديسة المجيدة والدة الله الدائمة البتولية الطوباوية مريم وجميع القديسين . . .

ويوحنا السابق والمعمدان . . .

خاتمة الذبتيخات

اذكر يا رب الذين انتقلوا بايمان قويم من هذا العالم . ونيّح نفوسهم . . . حيث يتقدمهم نور وجهك . . .

ذبتيخا الآباء الاحياء

اذكر يا ربّ اساقفتنا الابرار الذين يفصلون لنا كلمة الحق باحكام (٢ طيم ٢ : ١٥) والقسان الموقرين . . . والشمامسة . . . وسائر الطغمات البيعية . . .

تقرّب لك هذه الذبيحة الرهيبة وغير الدموية لاجل كنيستك المقدسة المنتشرة في المسكونة كلها . ولا سيما لاجل صهيون ام جميع الكنائس المستقيمة الايمان . . .

في الذهب

افشين سر (ورقة ٥٥)

لكي يكون للذين يتناولون منه تطهير الانفس ومغفرة الخطايا . . .

وايضاً تقرّب لك هذه الذبيحة من اجل المؤمنين . . . والآباء . . . والانبياء والرسل والكارزين والمبشرين والشهداء والمعترفين . . .

الكاهن يعلن :

وخاصة لذات كل قداسة الطاهرة المباركة المجيدة سيدتنا والدة الله الدائمة البتولية مريم

افشين سر :

والقديس يوحنا السابق الصابغ وجميع قديسيك .

(ورقة ٥٦)

واذكر كافة الذين على رجا القيامة والحياة الدهرية توفوا . ونيّحهم حيث يشرق عليهم نور وجهك .

وايضاً اليك نرغب اذكر جميع رؤساء الكهنة المستقيمين بكلمتك الحقة . وجميع الكهنة خدام المسيح وكل طغمات الكهنوت .

وايضاً تقرّب لك هذه الذبيحة الشاطفة من اجل المسكونة ومن اجل الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية .

مار يعقوب

ذبتيخا الملوك وهي الثالثة

الكاهن يقول سرًّا :

اذكر يا ربّ ملوكنا وملكاتنا الحسني العبادة وأخضع لهم كل الاعداء والمحاربين. لكي نحيا حياةً هنيئةً هادئة ونسير بكل تقوى وعفافة .

خاتمة الذبتيخات

الكاهن يعلن :

لكيما جذا كما بكل شيء يُسبَّح ويمجَّد اسمك الكليّ الاكرام والمبارك مع اسم ربنا يسوع المسيح وروحك القدوس. الآن وكل اوان والى ابد الآبدين.

ويبارك المؤمنين قائلًا :

فلتكن رحمة الله العظيم وخلاصنا يسوع المسيح مع جميعكم يا اخوتي الى الابد .

مقدمة الصلاة الربية

الكاهن يعلن :

... لكي نجسر بقلب نقيّ ونفس وضيئة وبدالة ان ندعوك ايها الاله الآب السماويّ ونقول : ابانا الذي في السماوات . . .

لان لك الملك والقوة والمجد الى ابد الآبدين امين .

في الذهب

(ورقة ٥٦)

ومن اجل ملوكنا المؤمنين المحبين للمسيح وجميع بلاطهم واجنادهم . اعطهم يا ربّ السلامة في المملكة . لكي نحن جدودهم نجيز[1] عمرنا كله بسكون وهدوّ وحسن عبادة وعفافة .

(ورقة ٥٧)

والكاهن يعلن :

وأعطنا كلنا فم واحد وقلب واحد ان نمجّد ونسبح اسمك الكليّ الاكرام العظيم البهاء . ايها الآب والابن والروح القدس . من الآن والى كلّ اوان والى دهر الداهرين .

(ورقة ٥٨)

والكاهن يلتفت الى الباب الملوكيّ ويباوك ويعلن قائلًا :

وتكون رحمة الله العظيم خلاصنا يسوع المسيح مع جميعكم .

(ورقة ٥٩)

الكاهن يعلن :

وأهّلنا ايها السيد ان نجسر بدالة وندعوك آبًا غير مدانين . ايها الاله السماوي ونقول :

الشعب : ابونا[2] الذي في السماوات .

الكاهن يعلن :

لان لك هو الملك والقوة والمجد . ايها الآب والابن والروح القدس . من الآن وكلّ اوان والى دهر الداهرين .

---

١) نجيز من السريانية ܐܓܝܙ بمعنى تقضي ٢) كذا « ابونا » من السريانية ܐܒܘܢ

هذه العبارة الاخيرة نظراً الى خطورتها يجاهر بها الحبر او الكاهن في القداس الملكي وفي سائر الحفلات الرسمية. ومن المعلوم انها منقولة عن السريانية لا عن اليونانية. وهكذا وردت في نص انجيل مار متى السرياني خلافاً لسائر الترجمات. ويستخلص من ذلك ان السريان الملكيين كالسريان الموارنة والسريان الشرقيين اعني الكلدان تمسكوا باستعمال النسخة السريانية البسيطة خلافاً للسريان اليعاقبة الذين احدثوا الترجمة الحرقلية واستعملوها منذ اوائل القرن السابع ودعوها حرقلية لان توما الحرقلي اسقف منبج هو الذي صححها.

مار يعقوب	فم الذهب
الكاهن يُردف :	(ورقة ٦٠)
بنعمة ورحمة ومحبة ابنك الوحيد للبشر. الذي انت معه مبارك مع روحك الكلي قدسه الصالح ... وصانع الحياة ... الآن ...	الكاهن يعلن : بنعمة ورأفة ابنك الوحيد ومحبته للبشر الذي انت معه مبارك مع روحك الكلي قدسه الصالح وصانع الحياة ... من الآن ...
الكاهن يرفع الطبق وينادي :	(ورقة ٦٠)
القدسات للقديسين والاطهار تُعطى.	الكاهن يرفع الخبز المقدس قائلاً : القدسات للقديسين.

أصل هذه العبارة الجليلة هو كما اثبتها القداس الملكي اعني كلمتين فقط لا غير. وكانت كذلك عند السريان حتى القرن الثالث عشر. وبرهاننا على ذلك ما ذكره مار يعقوب السروجي في ميمره الثاني والاربعين (٢١٥ و٢١٧ و٢٢٤) وأورد اللفظ الاول تارة بالمفرد ܩܘܕܫܐ القدس وتارة بالجمع ܩܘܕܫܐ القدسات. ومرة بالباء هكذا ܒܩܘܕܫܐ ܩܕܝܫܐ القدس في القديسين. وكذا ذكرها ايضاً يعقوب الرهاوي وبركيفا وابن الصليبي وابن العبري. واول من اضاف اليها لفظتي « ܠܩܕܝܫܐ ܠܩܕܝܫܝܢ وللاطهار تُعطى » كان يعقوب البرطلي في القرن الثالث عشر. ثم جاء بعده من جاء فاضاف اليها كلمتين ايضاً فاصبحت هكذا: « القدسات للقديسين والاطهار يجب ان تعطى فقط ». ومن المعلوم ان كل قديس طاهر وليس كل طاهر قديساً. لان القداسة تشتمل على كل الفضائل دون استثناء. وقد حذا حذو السريان في هذه الاضافة السريان

الموارنة والسريان المشارقة ببعض التحوير وكان حق هؤلاء واولئك ان ينسجوا على منوال الروم الملكيين ويقتصروا على اللفظين « القدسات للقديسين » فقط لا غير . ولفظ « القدس » مقتضب من كلام يسوع الفادي وهو : « لا تعطوا القدس للكلاب » (متى ٧:٦) .

مار يعقوب	فم الذهب
صلاة الشكر	(ورقة ٦٢)
الكاهن يعلن : نشكرك ايها الرب الهنا لاجل غزارة رحمتك وعجائبك للبشر الفائقة الوصف . لانك اهّلتنا للشركة في مائدتك السماوية . . .	الكاهن يقول هذا الافشين سرًّا : نشكرك ايها السيّد المحبّ البشر المحسن لنفوسنا . لانك اهّلتنا في هذا اليوم الحاضر لقبول اسرارك السمائية . . .
الكاهن يتمّ صلاة القداس الاخيرة وهي موجهة الى ابن الله عزّ وعلا : ايها الاله الذي . . . طأطأ السماء وانحدر لاجل خلاصنا . . . بارك شعبك واحفظ ميراثك . . .	الكاهن يبارك الشعب ويعلن قائلًا : خلّص يا الله شعبك وبارك ميراثك (مزمور ٢٧ : ٩)

بهذه آية داود النبي يختم قداس مار يعقوب الرسول وقداس مار يوحنا فم الذهب . وقد شاهد المتبحّر في عبارات كلا القداسين صدقَ ما تحرّيناه انباته . واتضح له سمو مقام قداس مار يعقوب وقدمه ومزيد اعتبار فم الذهب له . وقد سمعه بلا ريب مرارًا جمة ايام طفوليته وفتوته ورهبنته وقسوسيته في كنائس انطاكية وطنه واستظهر عباراته الرسولية وتلاها غير مرة على ظهر قلبه ثم نقلها الى مركز اسقفيته وترجمها الى اليونانية واستعملتها كل الكنائس الخاضعة لرئاسته الكهنوتية .

يحق اذًا للكنيسة المارونية ولشقيقتها الكنيسة السريانية اللتين حافظتا على قداس مار يعقوب الرسول ان تجاهرا بتشرفهما بلفان كبير مجيد أطاق عليه بكل جدارة واستحقاق كنية « فم الذهب » وتدفقت انهار علومه الزاخرة على السريان واليونان اجمع . وارتشف مناهلها الصافية جميع المسيحيين في مشارق الارض ومغاربها .

اننا نسأل حمل الله القدوس الذبيح لاجلنا ان ينعم علينا بمشاهدة مار يعقوب الرسول ومار يوحنا فم الذهب في ملكوته السماوي . ويؤهلنا ان نترنم معهما ومع مصاف الكهنة في بيعة الابكار المكتوبين في السماء هاتفين: « البركة والكرامة والمجد والعزة للجالس على العرش وللحمل الى دهر الدهور (رؤيا ٥ : ١٣) آمين

بيروت ٢٩ حزيران ١٩٤٨